هوامش

يعدّ المقبلون على الزواج في تونس محظوظين بعض الشيء في ظل عادة «الرمو» التي تعكس التضامن الاجتماعي بين العائلات من خلال تقديم المال والهدايا، وإن كانت ديناً على العرسان

سهرة الحناء (مراد مجايد/ فرانس برس)

«رمو» تونس

تضامن اجتماعي في الأعراس

تونس ـ **إيمان الحامدي**

تستحوذ حفلات الزفاف على اهتمام الأسر التونسية التزاماً بالواجبات الاجتماعية التي تفرضها هذه المناسبات، ولا سيما منها المتعلقة بالحد من الأعباء المادية للمقبلين على الزواج من خلال الهدايا التي تقدم لهم.

ويعدّ تقديم الهدايا المالية أو «الرمو» أو «الرشق» بالتسمية المحلية، أحد أبرز عناوين التضامن الاجتماعي والعائلي في أعراس التونسيين، إذ يقدّم المدعوون إلى المقبلين على الزواج مبالغ مالية بحسب وضعهم المالي ودرجة قرابتهم من العرسان أو أسرهم. ويوم «الحناء» هو الموعد الرسمي لتقديم الهدايا أو «الرمو». ويعلن رسمياً عن مراسم الزواج وتقام ولائم الطعام قبل أن يفسح المجال للمدعوين لتقديم هداياهم ودفع الأموال على أنغام الموسيقى وبالإشهار عبر مكبرات الصوت. ويكون دفع المال في ليلة الحناء مباشرة بعد انتهاء وليمة العشاء. ويأتي طبق الحناء الموشح بالياسمين ويجتمع المدعوون حول العريس على أنغام الموسيقى ويبدأ الأقرب إليه من عائلته (والدته أو والده) بدفع المبلغ الأعلى لتشجيع الحاضرين على العطاء بسخاء للعرسان.

ويتكفل المكلف بمهمة أمانة المال جمع الأموال التي توضع في طبق الحناء والإعلان بمكبر الصوت عن كل مبلغ بالقول: «هذا المبلغ من فلان ابن فلان... نجامله في الأفراح».

وعلى الجانب الآخر، يتكفّل مساعد أمين المال بتدوين المبالغ المالية إذ يعد المال ديناً يتعيّن على العائلة تسديده في إطار التضامن العائلي في مواسم الأفراح. وعادة ما يتحوّل «الرمو» إلى مزايدة بين الحاضرين، حتى باتت الظاهرة محرجة للبعض ممن يجدون أنفسهم مجبرين على دفع مبالغ مالية كبيرة للحفاظ على مكانتهم بين الحضور.

ويعدّ التضامن الأسري تفصيلاً أساسياً في أعراس التونسيين. إلا أن أشكاله عرفت تحوّلاً كبيراً خلال العقود الماضية. وكان التضامن حاضراً في أفراح العائلات من خلال الهدايا العينية كالطعام والخراف، قبل أن تتحول الهدايا إلى أموال قد تصل في بعض المناطق إلى عشرات الآلاف من الدنانير. في هذا السياق، تقول الباحثة الاجتماعية صابرين الجلاصي إن عادة «الرمو» أو «الرشق» تأتي في إطار الهبة التي يشير علماء الاجتماع إلى مساهمتها في تعزيز قيم التواصل بين الأفراد، وتعزيز التبادل لا في إطار علاقات ثنائية فقط بل أيضاً في إطار علاقات جماعية. وتؤكد الجلاصي لـ«العربي الجديد» أن «الرمو» الذي تعود جذوره إلى مئات السنين هو نظام شامل شديد التعقيد لأنه يحمل رموزاً عدة في الموروث الثقافي التونسي للمجتمع. ويأتي في إطار إبراز حسن النوايا وخلق نموذج للتضامن الاجتماعي.

وتقول الجلاصي إن الهبة أو «الرشق» لم تكن تقتصر على الأموال بل تشمل أيضاً المساعدات العينية كالأثاث وأواني الطبخ وكل ما يمكن أن يحتاجه العرسان لمنزلهم الجديد، مؤكدة أن لهذه المساعدات الاجتماعية دلالات أخلاقية وحتى دينية تكشفها اللغة والأمثال الشعبية المتداولة لدى العامة، منها المثل القائل: «يا سعد من ساهم في بيت بناء» (هنيئاً لمن ساهم في إقامة عش الزوجية). إلا أن هذه العادات القائمة على التضامن الاجتماعي، بحسب الجلاصي، تحولت من مبادرات طوعية إلى عادة إلزامية، خصوصاً أن من يحصل اليوم على هبة أو مبلغ مالي مطالب مستقبلاً بإرجاعه. وتشير إلى أن هذا العرف خرج من إطاره التضامني إلى التسويق للذات الاجتماعية التي تبرز المكانة الاجتماعية المرموقة للمانح، من دون الأخذ في الاعتبار تراجع قدرة العائلات على الإنفاق والتي أصبحت تتحمل أعباء إضافية بسبب عادة «الرمو». وتؤكّد المتحدثة أن دفع مبالغ مالية كبيرة كهبات في الأعراس مرده إلى رغبة المانح في إظهار مكانته الاجتماعية أمام الحضور الذين يجبرون على المزايدة لحفظ مكانتهم من دون مراعاة أثر ذلك على قدراتهم المادية.

تضيف الجلاصي أن العادات القديمة التي أسست للتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع تحوّلت إلى عقبة إضافية أمام المقبلين على الزواج، بعدما أصبحت تقدر بآلاف الدنانير، والمتزوجون الجدد مطالبون بإرجاعها في أول مناسبة يحييها المانحون.

ولمساعدة الشباب على إحياء ليلة العمر، أوجد التونسيون منذ القدم وسائل للتكافل بين العائلات وتخفيف عبء وكلفة مراسم الزواج من خلال الهبات أو «الرمو» في ليلة الحناء. هذه العادة التي تتميز بها مناطق عدة تساهم في تمكين العريس من خلال الحصول على مبالغ مالية متفاوتة من أقاربه وأصدقائه على شكل هدايا تساعده في مواجهة نفقات الزفاف، على أن يتولى العريس بدوره إرجاع ما حصل عليه في أفراح من حضروا لمساندته بمناسبة زفافه. خلال السنوات الأخيرة، برزت مظاهر سلبية خصوصاً في المناطق الحدودية التي ينشط فيها التهريب، إذ تخلت عن طابعها التضامني وتحوّلت إلى مظهر من مظاهر الرياء والتفاخر من خلال حجم الأموال التي تقدم للعروس يوم الحناء.

باختصار

الهبة أو «الرشق» لم تكن تقتصر على الأموال بل تشمل أيضاً المساعدات العينية كالأثاث وأواني الطبخ وكل ما يمكن أن يحتاجه العرسان لمنزلهم الجديد

■■■

دفع مبالغ مالية كبيرة كهبات في الأعراس مرده إلى رغبة المانح في إظهار مكانته الاجتماعية أمام الحضور الذين يجبرون على المزايدة لحفظ مكانتهم من دون مراعاة أثر ذلك على قدراتهم المادية

■■■

أوجد التونسيون منذ القدم وسائل للتكافل بين العائلات وتخفيف عبء وكلفة مراسم الزواج من خلال الهبات أو «الرمو» في ليلة الحناء

وأخيراً

الحريق يلتهم سورية

رشا عمران

سورية تأكلها الحرائق. لم تعد جملة «نحرق البلد» متعلقة بالسياسة والانقسامات التي حصلت بعد الثورة فقط، بل أصبحت، منذ سنتين أو أكثر، جملة حقيقية لا علاقة لها بالمجاز، فسورية تحترق فعلا. النار تشتعل في غاباتها وجبالها وحقولها، وتأكل، حرفيا، الأخضر واليابس. يقول الأصدقاء في المناطق القريبة من الحرائق إن النار تكاد تصل إلى بيوتهم، ولا تكتفي بالأشجار والأحراش ومواسم القمح والزيتون وغيره. النار كما لو أنها لا تشبع وتطلب المزيد، كما لو أنها تريد أن تختبر رائحة حرق كل شيء. كيف هي، يا تُرى، رائحة حرق المنازل الحجرية أو البيتونية؟ وتلك المصنوعة من التراب التي لا تزال قائمة في الريف السوري الفقير؟ كيف هي رائحة حرق البشر، هل جلد النساء المحترق تختلف رائحته عن جلد الرجال؟ وماذا عن الأطفال؟ ماذا عن العجائز؟ يبدو الوصف هنا قاسيا، كما لو أن صاحبته تملك خيالا ساديا.

ولكن هل من سوري، بعد ما يقارب عشر سنوات من القتل المستمر والموت المتنقل، وتجريب فنون نادرة من التعذيب والقهر، بقي محافظا على خيال معافى وصحي وخالٍ من كل الأمراض التي وصفها علم النفس؟ مات السوريون قنصا. وماتوا ببراميل متفجّرة، وهذه اختراع سوري محض. وماتوا ذبحا. ماتوا غرقا في البحار. ونهشتهم حيوانات الغابات حتى الموت، وهم يحاولون النجاة. ماتوا في السجون والمعتقلات. ماتوا من الجوع والعطش، حرفيا. ماتوا من التشرّد. ماتوا انتحارا. ماتوا بكل أنواع الأمراض، ماتوا من القهر واليأس. ماتوا من الغضب والخذلان والتخلي. ماتوا بكل أسباب الموت الممكنة. ماتوا فرادى وماتوا جماعات. عائلات بأكملها ماتت مجتمعة، قرى لم يبق فيها رجال. ماتوا جميعا في الحرب. أجيال من الشباب كان يفترض أنهم مستقبل سورية لم يبق منهم أحد. قتلتهم الحرب وقتلتهم السياسة، وقتلهم تحالف الأنظمة في العالم ضد أحلامهم. كان موت السوريين دائما بفعل فاعل، ثمّة مسبب أول لكل هذا الموت، نظام سياسي يتصف بكل صفات الإجرام، هو وراء موت الجميع!

سنحكي دائما وأبدا عن المسبب الأول، مهما كره الكارهون، ومهما حاولوا التحويل نحو النتائج وتعداد مجرمي الحرب. ثمّة مجرمون كثر ظهروا في السنوات العشر السابقة، لكنهم نتائج مسبب وحيد، بدأ في قتل السوريين منذ زمن طويل، قتل مدنيتهم، وقتل تنوعهم، وقتل تسامحهم، وقتل وطنيتهم، وقتل تفرّدهم. قتل كل ما يمكن أن يجعل منهم شعبا حقيقيا حريصا على أرضه ووطنه وحاضره ومستقبله وماضيه، لا على نظامه السياسي ولا على طائفته وقبيلته وعائلته. سورية تأكلها الحرائق الحقيقية منذ سنتين، بعد أن احترقت كلها بفعل فاعل. ها هي الطبيعة تحتج. مشهد النيران، تمتد في الحقول المزروعة والجبال الخضراء والوديان الحرجية، فيما أخبار عن استحالة العيش بسبب الغلاء والفساد والفيروس، يجعل السوريين بين خيارين وحيدين، الموت قهرا أو انتحارا بفعل العجز، أو إشاحة النظر عما يحدث ومحاولات إلهاء النفس بأشياء تافهة لا معنى لها، بلا أي قيمة ولا أي معنى، إذ سيحيل المعنى السوري مباشرة إلى النقطة الرئيسية، إلى سورية وما يحدث فيها، إلى القهر والعجز والغضب والحقد، الحقد الذي يربّي خيالات سادية ومريضة. وهو ما أرادوه لنا منذ البداية، أن يربوا الحقد فينا، كي نصبح جميعا مثلهم، كي نصبح ساديين، أو كي نعتاد على القتل والموت والدم والأشلاء والدمار، بحيث يصيبنا عدم الاكتراث تجاه كل ما يحدث: القتل والاعتقال والتدمير وبيع البلد والتحالفات المشبوهة والاحتلالات وفقدان السيادة الوطنية (مفردة وطنية مثيرة للسخرية والمرارة في الوقت نفسه). سورية تأكلها الحرائق فعلا. والنظام اخترع طريقة جديدة ليمنع السوريين من العودة إلى وطنهم: على كل سوري راغب بالعودة أن يدفع مائة دولار (أميركا تتآمر على سورية ونظامها حسب الخطاب الممانع)، إن لم يدفعها في المطار فسوف يعود من حيث أتى، وإن لم يدفعها على الحدود السورية اللبنانية (الحدود الوحيدة المتاحة للعودة)، فسوف يعود إلى لبنان، ولبنان لا يستقبل سوريين لم تدخلهم بلادهم إليها. لا بأس سيعيشون في المنطقة الحدودية بين البلدين، حتى يتمكّنوا من دفع المائة دولار، سيعيشون «عالقين» في العراء، وهذا اسم جديد يضاف لأسماء السوريين المنكوبين: عالقون.

حاولت فتاة «عالقة» الدخول إلى سورية بطريقة غير شرعية، فماتت من الحر في الأحراش بين البلدين، وتم نقل جثتها إلى لبنان، حتى جثث السوريين ممنوع دخولها إلى سورية بلا مائة دولار. سورية تحترق وتنتهي.

> سورية تأكلها الحرائق الحقيقية منذ سنتين، بعد أن احترقت كلها بفعل فاعل. ها هي الطبيعة تحتج

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**